*طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم 2*

*بحث فى مقاصد الشريعة*

*إعداد أ/ منى حسن صابر*

*قسم الفقه وأصوله*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*mona.hassan@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم**

**الكلمات المفتاحية : العقل، الإنسان ،الشرع**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم**

1. **عنوان المقال**

**الثانية: دائرة الحواس:**

**الحواس الخمس:**

**فالحاسة هي القوة التي تدرك الأعراض الحسية، يقال: أحسسته أي: أدركته بحاستي، وقوله تعالى:** {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ} **[آل عمران: 52]، فهذا تنبيهٌ على أنه قد ظهر منهم الكفر ظهورًا بينًا للحس فضلًا عن الفهم، وقوله تعالى:** {ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} **[مريم: 98]، أي: هل تجد بحاستك أحدًا منهم؟ وعبر عن الحركة بالحسيس، فقال تعالى:** {ﭑ ﭒ ﭓ} **[الأنبياء: 102].**

**ومقصودنا بالحواس ما كان وسيلة للعلم والإدراك، ومتفق عليه بين الناس ومشترك بينهم، وهو خمس كما تقدمت الإشارة إليها، والحواس جمع حاسة وهي القوة.**

**فالبصر: قوة يدرك بها الأضواء، والألوان، والأشكال... وغير ذلك ممّا يخلق الله إدراكها في النفس عند استعمال العبد تلك القوى.**

**والسمع: وهو قوة أيضًا مودعة في العصب في مقر الصماخ، يدرك بها الأصوات.**

**والشم: وهو قوةٌ يدرك بها الروائح، وهي قوةُ مودعةٌ في الأنف.**

**والذوق: وهو قوةٌ منبثةٌ في العصب المفروش على جرم اللسان، يدرك بها الطعوم.**

**واللمس: وهو قوةٌ منبثةٌ في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ونحو ذلك عند التلامس والاتصال.**

**تخصص كل حاسة من الخمس في نوعٍ معين من الإدراك:**

**لكل حاسةٍ من الحواس الخمس مجالٌ معينٌ لا تتعداه إلى غيره ولا تعمل إلا فيه، فقد خلق الله تعالى كلًّا من تلك الحواس لإدراك أشياء مخصوصة، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسُنة الله تبديلًا، ولا يدرك بحاسةٍ ما يدرك بحاسة أخرى، ولا يُنفض هذا القول بإدراك اللسان لحلاوة الشيء وحرارته معًا؛ لأن الحلاوة تدرك بالذوق والحرارة بحاسة اللمس الموجودة في الفم واللسان، وإسناد الإدراك إلى الحواس، ليس من قبيل إسناد الإدراك إلى المدرك بل إلى الآلة، وعُدَّ إدراك الحواس علمًا موافقًا لمذهب الإمام الأشعري، وهو المختار عند المتأخرين؛ إذ بكلِّ واحدةٍ منها ترتسم في النفس صورة بها تنكشف المحسوسات للنفس، ولا يلزم منه كون البهائم من ذوي العلم؛ لأن إدراكها بأنفس الحواس دون النفس بواسطة الحواس.**

**أما الوجدانيات: فقد ألحقها بعض العلماء بالحسيات دون العقليات؛ لأن إدراك الوجدانيات جزئي كالحواس، وهي في مرتبة الحواس، ولكن الحواس مشتركةٌ إدراكها متفقٌ عليه.**

**علاقة العقل بالحواس:**

**مما لا شك فيه أن الحواس والعقل، قوتان يدرك بهما الإنسان المعلومات والمعارف، ولكن هل هناك علاقة بين الحواس والعقل؟ ونحاول بيان ذلك فيما يلي:**

**يرى الإمام الغزالي -رحمه الله- أن في الإنسان حاكمًا حسيًّا، وحاكمًا وهميًّا، وحاكمًا عقليًّا، والمصيب من هؤلاء الحكام هو الحاكم العقلي، ولكن النفس في أول الفطرة، أشد إذعانًا وانقيادًا للقبول من الحاكم الحسي والوهمي؛ لأنهما سبقا في أول الفطرة إلى النفس، فألفت احتكامها وأنست بهما قبل أن يدركهما الحاكم العقلي، فاشتد عليها الفطام عن مألوفها، والانقياد لما هو كالغريب من مناسبة جبلتها، فلا تزال تخالف حاكم العقل وتكذبه، وتوافق حاكم الحس والوهم وتصدقهما إلى أن تضبط بالحيلة.**

**ويضرب الإمام الغزالي، أمثلة لاختلاف الحواس مع العقل في بعض المدركات مثل: حجم الشمس الذي يحكم عليه الحس، بأنه أصغر حجمًا من الأرض، والكواكب تُرى كالدنانير المنثورة على بساطٍ زُرق، ولكن العقل عرف ببراهين لم يقدر الحس على منازعتها، أن قرص الشمس أكبر من كرة الأرض بأضعافٍ مضاعفة، وكذلك الكواكب، وأغاليط الحس من هذا النوع كثيرة.**

**ممّا تقدم نعلم أن الإمام الغزالي يقصد من كلامه أن الحواس أقل نطاقًا وأبسط إدراكًا للحقائق؛ ولذلك العقل يعتبر الحاكم المهيمن، والممحص لأعمال الحواس والكلمة الأخيرة له، فلو قالت العينان عند رؤية السراب: ما أراه ماء، فإن العقل يقول لها: هذا ليس بماء وإنما هو سراب، ولكن هذا لا يدل على أن الحواس لا تساعد العقل في الوصول إلى المعلومات، بل الواقع أن الحواس هي طريق العقل إلى المعلومات.**

**والقرآن الكريم، جعل وظيفة الحس مكملة لوظيفة العقل، ورفع عنهما غشاوة التناقض، أو ضباب التنافر، أو الانحراف نحو الجانب العقلي أو الجانب الحسي، وبذلك صارت العلوم النظرية والعلوم الحسية التجريبية في البلاد الإسلامية جنبًا إلى جنبٍ.**

**جاء في كتاب (حجة الله البالغة): ولولا خدمة الحواس للعقل ما أدركنا شيئًا، فإن السببيات فرع البدهيات والبدهيات فرع المحسوسات، والعقل من صفاته وأفعاله اليقين والشك والتوهم، وطلب الأسباب لكل حادث، والتفكر في حيل جلب المنافع ودفع المضار.**

**الثالثة: دائرة الوحي:**

**الوحي في اللغة:**

**جاء في (المفردات في غريب القرآن)، للراغب الأصفهاني: أن أصل الوحي الإشارة السريعة، ويتضمن السرعة، فالوحي هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه، بحيث يخفى على غير المقصود به.**

**وقد يطلق الوحي على الإلهام الغريزي، كما جاء ذلك في قوله تعالى:** {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} **[النحل: 68]، وعلى إلهام الخواطر بما يُلقيه الله في روع الإنسان سليم الفطرة الطاهر الروح، كما جاء ذلك في قوله تعالى:** {ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ} **[القصص: 7].**

**وقد يُطلق الوحي على رؤيا المنام، كما جاء في قوله : ((لن يبقى بعدي من النبوة إلى المبشرات، قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له))، ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى على أنبيائه ورسله وحي، وبين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم على ثلاثة أضرب، حيث قال:** {ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ} **[الشورى: 51]، فكلام الله لرسله، إما أن يكون عن طريق الوحي والإلهام والقذف بالقلب، أو المنام، كما أوحى إلى موسى، وإلى إبراهيم # في ذبح ولده، وإما أن يُسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن ينظر السامع من يكلمه؛ لأنه في ذاته تعالى غير مرئي، وإما من وراء حجابٍ، أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب؛ فيسمع صوته ولا يرى شخصه، وذلك كما كلم موسى # ويكلم الملائكة، وإما أن يُرسل رسولًا، وهذا الرسول قيل المراد به: جبريل، فهذا الوحي من الملك المرسل، خطابٌ منه للأنبياء يسمعونه لفظًا ويرونه عَيانًا، وهكذا كانت حال جبريل مع رسول الله  إذا نزل بالوحي، وقيل المراد بالرسول: النبي كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم.**

**فالوحي في اللغة، يشمل كل ما أُلقي في الروع مباشرة، أو ما أُلقي بواسطة الملك إلى الأنبياء والرسل، وما يحصل من الإعلام بواسطة الرمز والإشارة والكتابة، كما يشمل الإلهام الغريزي والإلهام البشري في اليقظة والمنام.**

**المراجع والمصادر**

1. **الريسوني، أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
2. **ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، (مقاصد الشريعة الإسلامية) ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2005م**
3. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، هيرندن –فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991م**
4. **الجندي، سميح الجندي، (أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم) ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، 2003م**
5. **عطية، جمال الدين عطية، (النَّظرية العامة للشريعة الإسلامية) ، القاهرة، مطبعة المدينة، 1988م**
6. **الحسني، إسماعيل الحسني، (نظرية المقاصد عند ابن عاشور) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
7. **عبد الخالق، عبد الرحمن عبد الخالق، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، مكتبة الصحوة الإسلامية، 1985م**
8. **الفاسي، علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها) ، دار الغرب الإسلامي، 1993م**
9. **الصدي، محمد علي الصدي، (مقاصد الشارع الضرورية دراسة تأصيلية) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2004م**
10. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية: تعريفها، أمثلتها، حجتها) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**
11. **الزحيلي، محمد الزحيلي، (مقاصد الشريعة) ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م**
12. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، الدار العالمية للكتاب الإسلامية، 1994م**
13. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية وصلتها بالأدلة الشرعية وبعض المصطلحات الأصولية) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**